الوادي الجديد

دراسة تاريخية حتى بداية العصر الحديث

دكتور أحمد الخفاوي

تشتمل هذه المحافظة على عدد من واحات الصحراء الممتدة غربى وادى النيل بمصر ، وكان بعض هذه الواحات يتبع من الناحية الإدارية محافظة الصحراء الغربية التى تكونت سنة ١٩٤٦ م ، وكانت قاعدتها مرسى مطروح ، وفى سنة ١٩٦ م ، فصلت الواحتان : البحرية والفرافرة عن محافظة الصحراء الغربية التى تغير اسمها وأصبحت تعرف باسم محافظة مطروح وضمت إلى الواحتين : الداخلة والخارجة وأصبحت تكون محافظة الوادى الجديد ...

وكان للباحثين العرب من قبل — كاليعقوبى والمسعودى وأبى الفدا والمقريزى وغيرهم — شرف الأولوية فى ارتياد الصحارى والسياحة بمجاهلها مستهدفين لأخطارها فى وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النزر اليسير ...

وكانت هذه الصحارى — ولا تزال — حجابا — مقفلا ، وسرا مجهولا منها قال عنها العارفون ، فللصحراء هدوؤها وللرمال المنبسطة سكونها ، ولتلك الجبال الشامخة عظمتها ، ولهذه الصخور الجرانيتية تعدد ألوانها من حمراء قانية إلى زرقاء صافية ومن صفاء سمائها ولمعة نجومها وضيائها خلال لياليها الساحرة ، ثم من جفاف هوائها ، وطلاقته ومن اتساع أراضيها وفراغها ، ومن سكينة القفار وهدوئها ، كل هذه العوامل تلفت نظر الباحث ، وتخلب لب الرواد ، وتجذبهم نحو ارتيادها ...

وكلمة صحارى تطلق على تلك القفار الممتدة ذات المساحات الواسعة ، وكثبان الرمال الخالية من الماء والنبات ، كالصحارى الكبرى وصحراء جوبى ، لكن صحراواتنا فى مجموعها أبعد — إلى حد ما — من ذلك ، فالآبار فى بعض مناطقها متقاربة ، والواحات فى بعض أجزائها متعددة يانعة تجبب إلى الإنسان ارتيادها والتمتع بمناظرها بشوق مهما كلفه الشوق من مشقة وعناء ، أما ساكنوها من البدو وما فطروا عليه من

البساطة فى المعيشة والسهولة فى التعبير ، يعطينا فكرة حقيقية عن حالة هؤلاء القوم ويصور لنا سر عظمتهم ، وبساطة حكمهم ، كما يفسر لنا ذكاءهم وبعد نظرهم فى معرفة النجوم واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها ، مما يجعلهم سادة هذه الصحارى وأدلتها .

ومن المدهش حقا ، أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين تلك المروج النضرة التى تحيط بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة التى تحده من الجانبين .

أن قارات العالم (كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا) ، بها الصحارى الشاسعة المجهولة والأرضى المقفرة ، ولكنك لن تجد فى مختلف بقاع العالم ما يماثل بعض مناطق صحرائنا الغربيه فى صمتها ووحشيتها وحالة الجدب التى تطغى عليها ، وليس من الضرورى أن ترتادها لمسافات طويله لتدرك هذه الحقيقة ، فإن خطوات قليلة بين رمالها اللينة يمكن أن تنقل الإنسان من المروج النضرة ، والأرض الخضراء اليانعة الغنية بمياه النيل السعيد إلى هضبات متسعة مقفرة تكتنفها الرمال والصخور على مدى البصر .

ويمكن تقسيم صحرائنا هذه إلى مناطق ثلاث :

١ — المناطق الساحلية :

وهى الشريط الأخضر الذى يطرق ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ويشمل الأرضى المتماوجة التى تتخللها الخضرة والقواقع ، وهو أكثر الأقسام عمرانا وازدحاما بالسكان .

٢ — المنطقة الوسطى :

وتشمل هضبة ليبيا والجرف الكبير ، ومنخفض القطارة ، وأراضيه وهضبات وأراضي منخفضة ذات تربة خشنة وعرة تتخللها أحياناً الجروف والأخاديد البارزة المدببة ذات الأحجار الجراتينية والبالورية .

٣ — المنطقة الجنوبية:

وقد من الله عليها وعوضها خيراً عن الأمطار بعدد من الواحات المنتشرة فيها ذات التربة الخصبة والمياه الغزيرة .

ولقد عرف المصريون القدماء من الواحات سبعاً كانوا يطلقون عليها فى كل عصر اسماً يتناسب مع ما كانت تستخدم فيه فى ذلك العصر، ولم تكن التسميات ترمى إلا إلى تمييز هذه المنخفضات الحية عما يحيط بها من أرض قاحلة موات .

أما تلك الواحات فهى :

١ — كيغيم أو واحة راس : أى الواحات الجنوبية وهى المعروفة بالواحة الخارجة .

٢ — تسنيس : وهى المعروفة بالواحة الداخلة .

٣ — ويت أى الواحة ولا يعرف لها إسم ولا موضع .

٤ — سكة آمو أو حقل النخيل : وهى المعروفة بواحة سيوة .

٥ — ويتمحث أو واحة الشمال : وهى المعروفة بالواحة البحرية .

٦ — سكة همام أو حقل البلح : وهى المعروفة بوادى النطرون .

وفى الفترة التى زار فيها المؤرخ اليونانى هيرو ديت مصر كان المصريون

القدماء يطلقون على الواحات اسم « جزر الراحة » لأنها الملاذ الرحيم الذى يقدم الراحة والطمأنينة هبة لكل مرتحل فى درب الصحراء القاحلة الوعرة . بعد تلك الرحلات الطويلة الشاقة ، فيشعره بجمال الحياة فى جداوله الرقراقة وظلاله الوارفة ، فهى الأمل الباسم والرجال المرتقب الذى تيممه القافلة بين ذلك البلقع العريض الموحش .

لذا كان الرومان يسمونها « ويسز » أى نهاية الرحل أو محطة الاستراحة . كذلك عرفها بعضهم « زورزماس » بأنها جزيرة بعيدة وسط الصحراء كل من رسا عليها لا يمكنه الإقلاع عنها ، إذ لا يستطيع أن يتخذ سبيله إلى الهرب فى طرق صحراوية قاحلة جرداء وليس لأقدم البشر بهـــا من أثر يمكن الاهتداء به إلى سواء السبيل .

ولعله عبر عنها بالجزيرة ، لأنها مقصد الضارب فى الصحراء . كما هو الحال فى جزر البحار ، إذ هى مقصد كل ممتط للبم مرتحل فوق العباب الطمأنينة والهدوء والصحراء والبحر نهايتهما قريبنا الشبه فى الخطورة عندما ففيهما يضل السارى أو تعصف به الأنواء .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق متى عرف المصريون الواحات، ولكن الذى نستطيع أن نثبته بعد التحقق منه هو أن أول من تعامل مع الواحات من ملوك مصر الملك « سيزستريس الأول » إذ أرسل أحد أمنائه المدعو « أكوديدى » لعقد معاهدة تجارية مع الواحات الخارجـــة فاغتنم أكوديدى هذه الفرصة وأقام لنفسه حجراً مقدسا بمعبد « أوزوريس » بالعرابة المقدسة ، وهذا هو اقدم أثر يشير إلى حدوث مثل هذه الزيارة وكان ذلك سنة ١٩٣٥ ق.م .

ولقد لعبت الواحات بموقعها الجغرافى وظروفها الطبيعية أدوارا شتى فى حياة الشعب المصرى، فالمصريون القدماء اتخذوا منها مستعمرات لنفى الأشقياء والمجرمين ومقبرة لجثثهم عندما يموتون حتى لا تلوث بأدرانهم أرض مصر

المقدسة ، ولهذا الإجراء قصة دينية تفسره ، ذلك أن « سيت » إله الشر والجريمة عندما قتل «أوزوريس» إله الآخرة المتولى محاكمة الموتى ومحاسبتهم، قام الإله حوريس رب الأرباب بمطاردته إلى أن تمكن من القبض عليه وقتله فى مدينة قفط ومن ثم عهد إلى أعوانه فى نقله إلى مكان ناء سحيق تائه وسط الصحراء يقال له «أوتو» وهو اليوم : الواحة الخـــارجة كبرى الواحات المصرية وقتذاك عقابا له على ما ارتكب من جرم ! !

وبمرور الزمن أصبحت الواحات ملجأ لجماعة المضطهدين والمطرودين، كما صارت مواطن صالحة للرهبنة والتقشف والصوفية والزهادة الدينية .

ويقال أن كلمة «واحة» مصرية قديمة معناها مكان للراحة والواحة مفرد جمعها واحات ، وهى عبارة عن قطع متفرقة من الأراضى الزراعية وسط الصحراء تروى أراضيها من ماء يخرج طافياً من عيون تتفجر من باطن الأرض .

ولما جاء العرب إلى مصر وجدوها مسماة بهذا الإسم ، فلم يحاولوا تغييره وأدخلوا هذه التسمية فى العربية كما هى مثلما أدخلوا كلمة بستان وينزهير الفارسيتين دون تبديل .

ولقد كانت منطقة الواحات بصفة عامة وثيقة الصلة والروابط بحوض وادى النيل ، نظراً لأهمية المنطقة بموقعها على مسالك التجارة عن طريق القوافل التى كانت تخرج من حوض وادى النيل وتعبر المنطقة إلى الأقاليم الإفريقية فى الشمال والغرب والجنوب الغربى .

وعلى الرغم من أن تاريخ المنطقة وتطورها قد أسدلت عليه الفترات المظلمة ستاراً كثيفاً ، فإننا نجد توضيحاً لذلك فى تطور الوضع المناخى الذى حول الأقاليم الخصبة إلى مناطق جرداء انحصرت أراضيها الخصبة تدريجياً فى مناطق صغيرة هى التى عرفت بالواحات ، وقد أخذت هذه فى التآكل المدمر الذى دفع السكان إلى الهرب إلى مناطق أكثر رخاء ، واستوحشت

الحيوانات التى كانت تعيش فى الواحات ، وانقرض العدد الأكبر منها ، كذلك فان طرق القوافل قـــد أغلقت بسبب سافيات الرمال التى كانت تغطيها ، وكان من هذه الطرق ، الطريق إلى الشمال والغرب والطريق من الواحة الداخلة والكفرة ، وقد أقفلا فى عهد أحمد بن طولون . وتتأكد خطورة هذه السافيات الرمليه من قدرتها على دفن الحملة العسكرية الضخمة التى أرسلها قمبيز لتدمير واحة سيوة أو الواحـــة الداخله على خلاف فى الروايات ، وهذه العواصف الرملية تمثل أهم مظاهر الطبيعة فى الواحات حيث تأتى على هيئة رمال سيالة تتحرك بطيئا نحو الجنوب تتخذ شكلا هلاليا .. ولذا فهى ذات خطر عظيم على المزارع والمبانى ، وكم من بلدة زالت ونخيل طمس وطريق ردم تحت رمال هـذه الغرود التى تعد أخطر أسلحة ضد الإنسان فى هذه المناطق وتتجمع هذه الغرود الرملية فى شكل مجاميع كالبحر المتماوج وتختلف فى الارتفاع ، وقد تصل أحيانا إلى ٥٠ مترا وفى الاتساع نحو ١٠ كيلو مترات ، وقد ردمت هذه الغرود كثيرا من العيون والآبار بجهة باريس بالواحة الخارجة واكتسحت النخيل بناحية عين القضاء بالواحة الداخلة وهى الآن تهدد بلدة جناح بالواحة الخارجة أيضا .

لقد أطلقت على المنطقة الشرقية للصحراء الليبية مسميات عديدة ، اختلفت باختلاف للفترات التاريخية التى مرت بها . ولا شك فى أن ذلك كان يرجع إلى الصراع الذى كان دائم الوقوع بين السكان الضعاف والنازحين من الأقوياء . وعرفت المنطقة التى تضم الواحات الثلاث : الخارجة والداخلة والفرافرة باسم « موريتانيا » وكانت تحكم من قبل أسرة بيدها التجارة .

ويرجع لفظ « موريتانيا » إلى جماعات من الميديين « الذين جاءوا من الشام إلى الساحل الليبى ، وامتد نشاطهم إلى منطقة الواحات للتجارة والسيطرة على طرقها وموارداها .

وقد وقع تصحيف على اللفظ « ميدى » فتغيرت الدال إلى راء ، وظهر اللفظ « ميرى » ثم حـــدث أيضا تغيير فى الصورة والصوت وظهر اللفظ موري » .

ومن الأمور الطبيعية أن تحدث التطورات اللغوية بسبب الهجرات ، وكما سبق أن قلنا فإن الصراع كان مستمرا بين السكان الضعاف فى هـذه المنطقة وبين الناز حين من الأقوياء .

وقد جاء اسم موريتانيا الذى عرفت به الواحات التى ذكرناها فى كتاب حنا النيقومى كذلك جاءت الأشاره إليه فى كتاب « برنو والصحارى والسودان الذى ألفه السير ريتشارد بالمر ، حيث ذكر : أن الصحراء الواقعة شرق برنوج (برنو) تمتد إلى أثيوبيا (حوض وادى النيل الأسط) وموريتانيا شمالا وأرض المازكس (أليجا) فى الشمال الشرقى .

كذلك يذكر أيضا : أن المازبكس ثاروا سنة ٣٧٣ م ودخلوا أرض موريتانيا فأرسل الامبراطور ثيود وسيوس حملة قصد تأديبهم وهم فى أرض موريتانيا ، وقـــد وردت أسماء القبائل التى سكنت موريتانيا فى الوثيقة التى كتبت فى عهد ديوقلتنيان .

كذلك تحدث بروقيوس عن الروم الذين نزلوا فى صحراء ليبيا ، فقال : انهم اشتبكوا فى قتال مع الموريتانيين واستطاعوا اخضاعهم بعـد أن هزمهم الموريتانيون بسبب استخدامهم للجمال التى كانت سببا فى فرار خيل الروم من ميدان القتال(١)

وفى سنة ٤٣٥ م اختطف « اليجا نسطوريوس » الذى كان قد احتجز فى الواحة الخارجة فى غزوة لهم عليها وفكوا أسره قرب اخميم فى صعيد مصر .

---

(١) الشاطر بوصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط : القاهرة ١٩٧٢ : ص٣١٣ ، ٣٤١

على أن هذا البحث يهتم بمجموعة الواحات التى أصبحت تمثل الوادى الجديد وما يتبعها من الواحات الصغيرة التى ذكرتها المصادر العربية بأنها حارات .. وهذه الواحات كانت تحتل مركزا (استراتيجيا) له خطورته على الموصلات بين حوض وادى النيل وقلب القارة الافريقيـة ، حيث ارتبطت مع حوض النيل بعدد من الطرق التى كانت تسلكها القوافل ومن أهم هذه الطرق من الجنوب إلى الشمال أى من أسوان إلى شمالى أسيوط فـكانت القوافل تخرج من حوض النيل فى المناطق الآتية :

١ — منطقة أسوان — دراو

٢ — من ادفو

٣ — من اسنا

٤ — من الزريقات

٥ — من فرشوط

٦ — من العلوانية

٧ — من الـكوامل

٨ — من الغنائم

٩ — من الزرابى

١٠ — من أسيوط — بنى عدى

كانت هذه المسالك تتصل بدرب الأربعين الشهير الذى كان يستخدم قديما بين أسيوط ودارفور .

ولعبت هذه الطرق — بوجه عام — دورا هاما فى نقل الحضارة إلى قلب القارة وأجزائها الغربية ، كما سلكتها الهجرات المتتابعه من حوض النيل .

التطور التاريخى :

يذكر ابن حوقل أن « بجميع الواحات بيعاً قديمة أزليه معمورة ، لأن البلد كان نصرانى الأصل قديما »(١)

وتتفق المصادر التاريخية على قيام الرومان بحفر الآبار لتعمير البلاد كما أنهم شقوا الجداول المغطاة لسريان المياه إلى الأرض الخصبة ، ويرجع تغطية هذه الجداول لحفظها من الرمال ، كذلك أقاموا المعابد وأنشأوا القلاع والحصون لحاية الاقليم والقوافل .. ولوحظ أن الهجرات قد اذدادت إليها فى العهد المسيحى بسبب الاضطاد الدينى . . وهناك مقبرة فى البجوات فى الواحة الخارجة سنتحدث عنها فيما بعد ، و كذلك فى واحة الفرافرة . ويذكر ابن حوقل (أن الغالب على أهل الفرفرون « الفرافرة » القبط النصارى)(٢) .

ونقل الأنصارى فى كتابه نخبة الدهر (أن الواحات كانت من قبل مملكة قائمة بذاتها ، ثم صارت مضافه)(٣)

ولا يعلم عن تاريخ الواحات فى العصر الإسلامى أكثر مما أشار إليه ابن حوقل ، حيث أشار إلى أن السلطنة التى كانت تتولى حكم هذه المنطقة كانت فى أيدى أسرة آل عبدون ، وذلك منـــذ الفتح الإسلامى لمصر حوالى عام ٦٤٠ م(٤)

(١،٢) ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض . ليدن ١٩٣٨ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٣) الدمشقى (٧٢٧ هـ) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبى طالب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ليبزج ١٩٢٣ : ص٧١

(٤) ابن حقول (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض ليدن ١٩٣٨ : ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

وجاء فى كتاب البلدان لليعقوبى : (أن الواحة الخارجة هى بلاد فيها حصون ومزارع وعيون مطمورة ومياه جارية وأصناف الشعير والكروم ومزارع أرز)(١) .

وذكر المسعودى أن بلاد الواحات وهى بين مصر والإسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الأحباش من النوبة وغيرهم وصاحب الواحات فى وقتنا هذا وهو (سنة ٣٣٢ هـ ، ١٩٤٣ م) عبد الملك بن مروان وهو رجل من العرابة ، إلا أنه مروانى المذهب (أى يميل إلى الحكم الأموى المروانى)،ويركب فى العرف مع الناس خيلا ورحلا وبينه وبين الأحباش « النوبه » نحو ستة أيام . . وفى أرضه خواص وعجائب ، وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر إليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب ، وقد رأيت صاحب الرجل يقيم ببلاب الأخشيد محمد بن طغج ، وذلك سنة ٣٣٦ هـ ، وسألته عن كثير من أخبار بلده)(٢) .

وكان ابن حوقل أكثر توفيقاً من المسعودى ، حيث كتب جلة من خبر رجالها وأوصافهم وأشار إلى الملك القائم بالأمر فى وقته وهو عبدون وذكر أن الملك الذى سبقه كان أسمـــه أبو الحسن بكر بن عبد الصمد ابن عبدون .

ومن منتصف القرن العاشر الميلادى لا يعلم شىء عن تاريخ هذه المملكة ، فقد ذكر الأدريسى : (الواحات الداخلة خراب الآن لا ساكن فيها

---

(١) اليعقوبى (٧٢٧ هـ) : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ليبزج ١٩٢٣ ص ١٩٧١

(٢) المسعودى(٣٤٦هـ)على بن الحسين بن على أبو الحسن:مروج الذهب ومعادن الجوهر : القاهرة : ١٨٨٢ م : ج ٢ ص ٢٢٣

والواحات الخارجة معمورة فيها قرى كثيرة يسكنها أخلاط من الناس ، وهى بين أرض مصر وبلاد السودان وتعرف بأرض سنتريه)(١).

وهذا يدل على أن الواحـــد الداخلة عاصمة آل عبدون قد تركت فى زمن لايزيد عن أوائل القرن الثانى عشر الميلادى وهل كان هذا الترك للعاصمة بسبب انقطاع القوافل إلى الغرب والشمال أم كان لغزوات من القبائل التى دخلت المنطقة من الشمال إلى الغرب ؟ .

لقد كانت هناك مجموعات من بنى هلال وبنى سليم وغيرهم ..

ويقال أن السلطان برقوق أقام مهجراً فى صعيد مصر وذلك فى سنة ١٣٨٢ م ، ومعروف أن الهوارة زحفوا جنوباً وخربوا مدينة أسوان سنة ١٤١٢ م .

وأشار ابن دقاق (أوائل القرن الخامس عشر الميلادى) أن الواحات كانت بيد أمير من طبلخانات أحدهم :العلائى والثانى أمير فرج نائب الوجه البحرى)(٢) .

نظام الحكم :

أشرنا فيما سبق إلى ماذكره ابن حوقل من أن أسرة آل عبدون هى التى كان لها الحكم والسيطرة عـــلى الواحات منذ زمن سابق على دخول

---

(١) الأدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس : ص ٤١ .

(٢) ابن قاق (٨٠٩) ابراهيم بن محمد المصرى : الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٣٠٩ م : ص ٣٥ ، ٣٧

العرب إلى مصر فى عام ٦٤٠ م ، وأن الحاكم فى زمنه كان عبدون بن محمد ابن عبدون . . كذلك أشرنا إلى ماذكره المسعودى من أن صاحب الواحات فى (٣٣٠ هـ — ١٩٤١ م) كان أسمه عبد الملك مروان .. ويتضح من هذه الأقوال أن الحكم كان وراثيا ومحدداً فى أسر معينة . .

وقد أضاف ابن حوقل: (أن ملوك هذه الناحية يرجعون إلى مروءة فاشية ومظاهر بالحرية ورغبة فى القاصد بين ومحبة للمنتجعين على جميع ضروب القصد مكرمين للتجار نازلين على أحكامهم فى الأرباح ، وكان من أحرصهم على هذه الوتيرة يتقبل المحاسن ويحب حسن الأحدوثة والشكر ويرغب فى جميل الذكر أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون يزيد على من سلف له من أهله فى جميع المقاصد الكريمة ، ويركب منها الطرقات الصعبة الجسيمة ، ولما مضى قام مكانه وعمر موضعه عبدون بن عبدون فى ضمن عبد له يعرف بمصبح بن ميمون مغربى الأصل ، ولد بالواحات وبلادهم كثيرة المياه والأشجار والعياض والعيون الجارية العذبة متصرفة فى نخيلهم وزرعهم وأحبيتهم وأكثر غلاتهم القمح والشعير والأرز ، ولديهم من العناب الكثير والقوة الواسعة الغزيرة ما يغدق به على الكثير من النواحى ، وهى كالناحية المعتزلة فى مركز دائرة من النيل ومن أى نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول إليها من ثلاث مراحل إلى أربع مراحل ، والناحية الخارجة منها المعروفة ببخيط «وبيريس» أقرب إلى النيل .

ولآل عبدون بالفرفرون (الفرافرة) والبهنسا قصران ومساكن : لا حرم فيها ولا ذخيرة ولكنها أعدت للنزول فيها وقت الحاجة للنزهة وبها مساكن الأكرة بالبهنسا وبيخبط وبيريس ولا يمد آل عبدون

وخدمهم أيديهم فى شىء من الجباية سوى الخراج والجزية من النصارى وليس بجميع الواحات يهودى واحد فما فوق(١).

ولم نستطع الوصول — بما أمكننا الحصول عليه من مصادر ومراجع إلى شىء مؤكد عن النهاية التى أنتهت إليها هذه الأسرة ، اللهم إلا أن هناك العديدين ممن يحملون اسم «عبدون» فى مناطق الواحات والنوبة .

لقد اعتمدت هذه المملكة فى إيراداتها على جباية : الخراج والجزية إلى جانب ما كانت تعود به القوافل التى كانت تمر عبر طرقها إلى السودان وغانة والمغرب وفزان من رسوم على الخدمات التى كانت تقدم للتجار ومعروف أن آل عبدون اشتهروا بحسن معاملتهم للتجار كما ذكر ابن حوقل.. ويدلنا هذا على أن هذه الدولة كانت تعتمد على عدد من الوكلاء عنها هنا وهناك فى إدارة جهازها الإدارى والمالى .

يقول المسعودى :«أنه فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة سار ملك النوبة فى جيش عظيم إلى الواحات ، فأوقع بأهلها وأسر كثيراً(٢) .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد حـــدث نزاع بين مملكة (المقرة) دنقلة والواحات (موضوع هذا البحث) وذلك فى عام ١٦٩٠ م بسبب قيـام الأخيرة بحظر سفر الأساقفة (رجال الدين المسيحى) وغيرهم عن طريق المملكة مابين الإسكندرية ودنقلة ، كما كان متبعاً من قبل .

وبوجه عام لم تكن العلاقات بين النوبة بعد انتقالهم إلى حوض النيل

---

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد): كتاب صورة الأرض ، ليد ١٩٣٨: ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٢) المسعودى (٣٤٦ هـ) على بن الحسين بن على أبو الحسن : مروج الذهب ومعادن الجوهر : القاهرة : ١٨٨٢م : حـ ٢ ص ٢٢٣

وبين مملكة الواحات ، بل كانت الحروب متتابعة بينهما(١) ، ويبدو أن هذه الحروب كانت ترجع لأسباب أقتصادية وسياسية ، فقد هجم النوبة على الواحات ووقعت بينهما هدنة سنة ٩٥١ م .

الحضارة فى الواحات :

كانت تسكن الواحات — فى هـــذا العصر الذى نتحدث عنه — مجموعات من المصريين الأقباط والمسلمين إلى جانب مجموعات أخرى من البربر ، وأيضاً جماعات قليلة منها بنو هلال.

يقول ابن حوقل «أن الواحات من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة، وهى مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها .....»(٢) .

وكان هذا الإقليم يمثل حلقة متصلة بالصحراء الكبرى فى الوقت الذى كان فيه أرضا زراعية تجرى فى وديانها المياه وتهطل عليها الأمطار وملتقى لهجرات من مصر ومن الشمال من ساحل البحر المتوسط ومن الجنوب: من السودان والأقلية الإفريقية الأخرى ، والمعروف أن مجموعة كبيرة من النوبة انتقلوا فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلى المنطقة الواقعة على حوض النيل جنوبى الشلال الأول استجابة لدعوة دقلديانوس الذى أراد أن يجعل من هؤلاء حماة لحدوده الجنوبية ، وكان يدفع للنوبة إتاوة سنوية على ألا يقوموا بعمل ضد مصالح الرومان .

ومن الطبيعى أن تنقل هذه الهجرات مجموعة من الحضارات والثقافات المتباينة ومن الصعب تحديد مراحل هذه الثقافات نظراً للحاجة إلى مسح شامل

---

(١) الشاطر بوصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط : القاهرة ١٩٧٢ : ص ٣١٣ ، ٣٤١

(٢) ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٧ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

فى أرجاء الأقليم يكشف به عن المدن وغيرها من الآثار التى عظتها الرمال التى تتزايد عاماً بعد عام .

ويذكر ابن حوقل : « أن غلات الواحات فوق حاجاتها وبها من القمح والتمور الجميلة الكبار الحب والعناب والقطانى إلى جميع الفاكهة والبقول مايزيد على حاجاتهم، أى حاجة سكانها » وينيف على فاقتهم وارادتهم » ...

ثم تعرض لمورد هام فى الواحات حيث قال: «وليس بجميع الواحات حمام، ولا فندق يسكنه الطارق والقادم إليها ،وإذا قدم التجار والزوار على آل عبدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم ودارت عليهم الضيافات إلى حين رحيلهم ، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالإبل والبقر وقلما يمطرون ومياه عيونهم حارة ، فهى تقوم لهم مقام الحمامات »(١) .

ويتضح من ذلك أنه قد بقيت فى الواحات من الآثار مايرجع إلى عهود قديمة ، كذلك يرجع أيضاً إلى ماستحدثه المسلمون وما انتقل عن طريق القوافل، استحدث المسلمون بهذه الواحات نحوا من خمسة عشر منبراً ولكل قرية من قرى هذه الواحات مساجد معمورة بالصلوات الخمس ، ويدين جميع من بها بالولاء لآل عبدون .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن هناك صلة واضحة من الناحيه المعمارية بين قباب مقبرة البجوات فى الواحة الخارجة وبين قباب مقابر أسوان، وفى هذا مايؤيد وجود علاقة بين المنطقتين(٢) .

---

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٨ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٢) المقريزى (٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن على : المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار : بولاق ١٢٧٠ م : جـ ١ ص ٢٨٠ ، ٢٧٧ ، ٣٣٧

الواحة الخارجة :

تشتمل الواحة الخارجة على أربع قرى ، هى الخارجة ، وهى القاعدة ، وجناح وبولاق وباريس ويوجد بهذه الواحة ٦٦٣٠ نخلة كما يقول على مبارك فى الخطط ... عليها من الخراج ٥٢٧ جنيها ، فى أوائل القرن العشرين ، كما يوجد ٦٥ عينا للماء تدفع كل عين خراجا سنويا مقداره ٣٥٩ قرشا ، وبذلك يكون مقدار خراج العيون ٢٢٣ جنيها ، وإلى الجنوب من الخارجة ، على مسيرة ثلاثة أيام من عين الماء المرة التى توجد جنوب بلدة باريس يوجد المكان الذى يستخرج منه معدن الشب من أقدم العصور ، فقد ورد فى خطط المقريزى : « أنه كان على الواحات فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل وأيام ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب حمل ألف قنطار من الشب كل سنة إلى القاهرة(١) .

ويقول ابن مماتى أن (الشب حجر محتاج إليه فى أشياء كثيرة أهمها الصبغ ومعادنه بصحراء الصعيد بمصر وعادة الديوان ، ديوان الخراج ، أن ينفق فى تحصيل كل قنطار منه ثلاثين درهما وربما كان دون ذلك وتهبط به العرب من معدنه (موطنه) إلى ساحل قوص وإلى ساحل أخميم وأسيوط إل البهنسا) ، ويحمل من أى ساحل كان إلى الاسكندرية أيام جرى الماء فى خليجها(٢) .

وكان طريق القوافل الآتية من دارفور بالسودان والذى كان يعرف باسم ، درب الأربعين ينتهى عند باريس ، فكان الحاكم الموفد من قبل حاكم

---

(١) المقريزى : الخطط : جـ ١ صـ ٣٨٠

(١) ابن مماتى قوانين الدواوين : ص ٢١٧

جرجا يرسل عند ورد القافلة بشيرا إلى مدينة أسيوط فترسل جماعات من العسكر لتلقاها وتجرى حصر البضائع الواردة معها ، ثم يؤخذ (الجمرك) عنها ، « وكانت الواردات السودانية تتكون من الإبل والرقيق وسن الفيل وريش النعام وسن الخرتيت والتمر هندى والصمغ وجلود التماسيح والأفاعى »(١) .

على أن الواحة الخارجة تقع غربى قنا وتتصل بوادى النيل عن طريق سكة حديدية طوله ١٩٧ كيلو مترا ، يبدأ من محطة مواصلات الواحات الواقعة شمالى محطة فرشوط بمركز نجع حمادى بمحافظة قنا ، وقد تعطل هذا الخط أخيراً وأصبح الوصول إلى الخارجة عن طريق أسيوط .

والعيون والآبار كثيرة الانتشار فى هذه الواحة ، ولكنها مع كثرتها لا تفى بالغرض المطلوب لأن مساحة الأراضى القابلة للزراعة ٣٤٠٠٠٠ فدانا يقع أغلبها فى المنطقة الممتدة بين بولاق ، وباريس(٢) ، فى سهل خصيب لا يوازيه فى خصبه غير الجزر النيلية .

---

(١) دكتورة سعاد ماهر : محافظات الجمهورية وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى : القاهرة : ١٩٥٦م : ص٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨

(٢) باريس : قرية صغيرة تقع جنوبى الخارجة المدينة على مسافة ٩٠ كيلو

الواحة الداخلة :

وتقع إلى الغرب من الواحة الخارجة والمسافة بينهما قبلع ١٨٠ كيلو مترا ، والمسافة بينها وبين وادى النيل ٣٨٠ كيلو مترا ، وقد عرفت بالداخلة لأنها متوغلة فى الصحراء ، وهى أكبر الواحات وأكثرها محصولا ، وتشتمل على عشر قرى منها : بلاط ويدخلو وأسمنت والمعصره وقلمون والهنداوى والجديدة وموط ، وهى القاعدة .

ويوجد بمعظم تلك القرى حدائق غنية بفاكهتها مثل : المشمش والبرتقال والرمان والعنب والتين والزيتون والموز والبرقوق والتفاح والكمثرى والنبق وغير ذلك يوجد فيها نحو ٤٦٤ عينا تسبح مياهها على الأرض ، وربما اشترك جماعة فى عين فيقتسمون الماء لسقى زرعهم ونخيلهم .

ذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية : أن الضرائب التى كانت تدفعها الواحة الداخلة ٨٤٦١١ قرشا ، وكانت الضريبة تفرض على العيون وليست على الأرض ، وكان عدد النخيل فيها ٢١٣٩٥٣ نخلة تحصل عليها الدولة ضريبة مقدارها ١٦٨ ، وأما أشجار الفاكهة فكانت تدفع ضريبة أخرى ، هذا عدا ما كان يدفعه أهل الواحة إلى الصيارفة ورجال الحملة الذين يأتون لحماية الصيارفة ويبلغ مجموع ما كانت تدفعه الداخلة من الضرائب ٥٤٥ جنيها وهو مبلغ لا يستهان به فى ذلك الوقت .

وهناك فى قرية «بدخلوا» طائفة تعرف بالشربجية تزعم أنها من سلالة المماليك الشراكسة ، وهى تتمتع بمركز ممتاز فى هذه القريه ، وأفرادها يحرصون على أن يلبسوا الملابس الفاخرة .

وتتصل هذه الواحة بمحافظة أسيوط عن الطريق المسمى بالدرب الطويل الذى يبتدىء من ناحية بنى عدى ويمر بقرية بلاط .

والعيون تكثر بالواحة الداخلة وهى :

١ — عيون جارية ينساب الماء منها إلى الزراعات فيرويها بغير آلات رافعة .

٢ — عيون غير جارية وهى التى يرفع ماؤها بالسواقى .

٣ — عيون مطمورة وهى التى جفت وردمت ولكن أصحابها لا يزالون يدعون ملكيتها ويؤدون عنها حصيلة الحكومة عن كل قيراط مما كانت تنتج خمسين قرشا، يقودهم فى ذلك الأمل إلى أنهم ربما يستطيعون إخراجها فى المستقبل .

ومما يكثر ترديده على السمع فى هذه الواحة (آبار ميهوب) وهى عبارة عن مجموعة آبار مكونة من إحدى عشر بئرا حفرت بواسطة الشيخ محمد ميهوب تلميذ السنوسى الكبير الذى كان من قبله ينشر الدعوة للمذهب السنوسى الذى يسيطر على صحراء ليبيا بين برقة وطرابلس ومصر ، وتقع هذه الآبار فى أرض منخفضة المستوى، ولذا فهى تمتاز بغزارة مائها ووفرة غلة أراضيها ، وقد ابتاعتها الحكومة المصرية بين ما إبتاعته من أملاك السنوسية فى صحراء مصر الغربية .

واحة الفرافرة :

تمثل هذه الواحة الصغيرة جزءا من الوادى الجديد موضوع هذا البحث ، وليس فى واحه الفرافرة ما يمكن الكتابة عنه غير أنها قليلة السكان ولا تتعدى قرية واحدة هى قصر الفرافرة وعيونها لا يزيد عن العشرين عينا تجرى بماء يستعمل جميعه فى الزراعة ولا يترك منه أى مقدار لكى يذهب هباء وأغلب هذه العيون تقع حول « قصر الفرافرة » وعلى بعد خمسين كيلو مترا فى الشمال الغربى لقصر الفرافرة تقع عين « الدالة » فى المنخفض المسمى باسمها ، وتوجد هذه العين فى السهل على إرتفاع ١٢٠ مترا من سطح البحر ولكن هذا السهل المرتفع يعتبر منخفضا بالقياس إلى الجبال المحيطة به ، وتوجد العين فى قمة تل من الرمال مكون من ثلاث طبقات ، يبلغ إرتفاع الطبقة الأولى منه مترا عن سطح السهل الواقع فى الجهة البحرية وترتفع الثانية ثلاثة أمتار فوق الطبقة الأولى وترتفع الثالثة خمسة أمتار فوق الثانية .

والماء محاط بشجيرات الغاب ، والنبع ينخفض بمترين عن قمة الجبل الذى يكون شبه قمع حوله ويمنعه من السيلان فى غير مجراه ، وهذا الماء من حيث صلاحيته للشرب يعتبر من أجود مياه هذه الصحراء ، وتوجد عدا ذلك ينابيع كثيرة فى الصحراء ، ولكنها لا تستعمل للزراعة ولكن للشرب ذلك لأنها تقع فى بقاع مأهولة بالسكان ، غير أنها تؤدى خدمة جليلة للقوافل لوقوعها على دروبها التى تسلكها فتتزود منها أثناء السفر الطويل الشاق والذى تمنى به فى الصحراء القاحله ، ولما كانت هذه الينابيع ليست لها قيمة من الناحية الاقتصادية المباشرة ، فقد رأينا ألا يطيل الحديث عنها خصوصا وأنها لا تختلف كثيراً عما ذكرناه من الآبار .

ولا يختلف توزيع الماء فى واحة الفرافرة عنه فى الواحة البحرية ، إذ أنها «أى الفرافرة ، تتبع البحرية وتقع إلى الجنوب منها .

الواحة البحرية :

أما الواحة البحرية فتعرف باسم واح البهنسا ، وهى تقع غربى محافظة المنيا والمسافة بينها وبين بلدة البهنسا على بحر يوسف تبلغ ٣٠٠ كيلومترا ، وتشتمل هذه الواحة — كما ورد فى الخطط التوفيقية — على خمس قرى هى : مندیشة والذبو ومدیشة العجوز والباويط والقصر . . يزرع فيها الشعير والأرز والبرسيم الحجازى وقليل من القمح كما يزرع بها بعض الخضر مثل : البامية والملوخية والكوسة والمقاتى والبصل وبساتينها عامرة بمختلف الفواكه وبالقرب منهما يوجد عدة إودية متسعة بها ماء ومراع ، وربما زرع بها الأرز ومن أهم هذه الوديان : وادى الحارة وهو يتبع قرية مندیشة ووادى عيون بيجوم ويتبع قرية الذبو ووادى الحيوز ويتبع قرية القصر(١) .

من سكان الواحات :

قلنا فيما سبق أن الواحات كانت تسكنها مجموعات من المصريين الأقباط والمسلمين إلى جانب مجموعات أخرى من البربر ، وأيضا جماعات قبلية منها بنو هلال ، وهذه الجماعات الأخيرة كانت تتمثل فى فريقين هما :

السعادى والمرابطون :

السعادى :

هم أولاد سعـــدى وقد اتفق المؤرخون على أنهم انحدروا جميعا من « أبو ذيب » ، وهو ينتسب إلى قريش وأن والدتهم سعدى بنت غازية الهلالية من نسل العرب الهلالية المنتسب إليها أبو زيد الهلالى .. ويبدو

(١) على مبارك : الخطط : ج ١٧ ص ٣٢

أن هذه القبائل أسمت نفسها بالسعادى لتتميز عن القبائل الأخرى من سلالة (أبو ديب) من زوجاته الأخريات، وقد ذكر ابن خلدون: (أن هناك، بمدينة مسراطة زعيم عربى كبير يسمى أبو ديب وأن له نفوذ عظيم فى إقليم برقة وطرابلس)(١).

وقد أنجبت سعدى ثلاثة أولادهم: جبريل وبرغوت وعقار.

ومن ذرية جبريل: العواقير والعـــربيات والمغاربة والجواف وفروعهم.

ومن ذرية برغوت: عبيد والعمرفة والفوائد وفروعهم.

ومن ذرية عقار: على وخديجة وبنى عونه والهـادى والحرابى وفروعهم.

أما المرابطون:

فقد اختلف الرواة فى أصلهم، فبعضهم يرى أنهم أقدم من السعادى، ولكنهم متفرقون وهذا هو سبب ضعفهم وإن كل قبيلة منهم فى حماية قبيلة من السعادى وبعض الرواة يقول: أن السعادى كانوا أقوياء وجاءوا للبلاد فاتحين، فدخلت بعض القبائل الأخرى فى حمايتها لضعفها فسموا (بالصدقان) أو الأصدقاء، ولما كانت قبائل السعادى تقوم للغزو كانت تكلف قبائل الصدقان بالمحافظة على الحدود فى نقط معينه ترابط فيها.. ولهذا سموا بالمرابطين، والرباط معناه ملازمة ثغر العدو ومعناه أيضا المحافظة على أوقات الصلاة، فقد ذهب الإمام الطرطوشى أمام هذا المذهب حين فسر الآية الكريمة «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

---

(١) ابن خلدون: العبر وتاريخ المبتدأ والخبر: ج ١: ص ٢٠١

واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، إلى أن « رابطوا » فيه قولان : قيـــل : رابطوا على الجهاد وقيل رابطوا على إنتظام الصلوات والجهاد فى سبيل الله من أخص صفات المرابطة والجهاد فى الثغر حيث ترابط خيل المقاتلة تحمى حياض المسلمين وترد عادية المعتدين »(١) .

وكان المرابطون موزعين على الآبار والزوايا فتفرغوا للمعيشة الزراعية والدينية وفقدوا الروح البدوية العسكرية فى حين أن السعادى احتفظوا بعاداتهم وهى رعى المواشى والمعيشة فى الجبال والاحتفاظ بالروح العسكرية والقتال وكل قبيلة أو عائلة من المرابطين فى حمى قبيلة السعادى وتدفع لها جعلا سنويا يسمى بالصدقة وفى مقابل ذلك تقوم قبيلة السعادى بحمايتهم من الغارات والسرقة والإهانة التى تحدث من السعادى الاخرين .

على أن المرابط ملزم فى الوقت نفسه بمساعدة السعادى فى حالات الغزو والحرب والتعدى فيحارب بجواره ويسرع لمساعدته ، وأهم قبائل المرابطين هى: المنفه والشواعر والقطعان والحوابيص والجرارة والحوتة والجبايل للقراكى والشبيبات والفواخر وترهوتة والعوامة والقدادفة والسمالوس والصريحات والفريضات وجبون الشريعات وذرياتهم .

والمرابطون فريقان :

— فريق يسكن الصحراء الغربية من حـــدود النيل غربا إلى بنى غازى .

— وفريق يسكن بنى غازى إلى واحة جالو الكفرة .

---

(١) د . حسن محمود : قيام دولة المرابطين : ص ٩٦

ولقد استطاعت هذه القبائل من السعادى والمرابطين أن تضع قانونا بدويا كان هو التشريع المعمول به فى هذه الصحارى والواحات . . حيث اجتمع شيوخ قبائلهم مع بعض الفقراء بالجحفة التى تقع جنوبى مدينة درنه بإقليم بنى غازى حيث تم وضع أسس القضاء البـــدوى الذى ظل معمولا به بينهم حتى أن الحكومة المصرية أقرتهم عليه بعد أن رأته مناسبا لأحوالهم .. أما الان فقد أصبحت الواحات بسكانها تتبع القانون والقضاء المعمول بهما فى باقى أنحاء مصر »(١) .

---

(١) د . سعاد ماهر : محافظات الجمهورية وآثارها فى العصر الإسلامى ص ٢٠٣

أولاد « عـــلى »

يكثر الحديث عن أولاد على من قبائل الصحراء الغربية بوجه خاص ولما كانت الكتابة عنهم متشعبة النواحى شاملة لتاريخهم وعاداتهم وأخلاقهم ، وكانت أهم المراجع تستند أكثرها على روايات نقلية عن شيوخهم ورؤساء قبائلهم وعشائرهم وبعضها خيالى بعيد عن التصديق — مع أن معظمهم يؤيدها — فقد رأيت أن أتناولهم فى بحثى هذا خصوصا وأننى تحدثت قبلا عن سكان الواحات والصحارى .

قلنا فيما سبق أن من سكان الواحات فريقين هما :

السعادى والمرابطون . . وأن السعادى هم أولاد أبو ديب من سعدى الهلالية ، وكذلك قلنا أن سعدى هذه أنجبت ثلاثة أولاد هم : جبريل وبرغوت وعقار .

وقبائل « أولاد على » من سلالة عقار بن سعدى وكان يدعى بعقار الشريف ، وقد استوطن بالجبل الأخضر قريبا من درنة بإقليم برقة وذلك حوالى القرن الخامس عشر الميلادى .

وأنجب ولدين هما : على وحرب وبنتا أسماها خديجة ، ومن خديجة إنحدرت قبيلة الجميات ، وبعـــد وفاة عقار قامت المشاحنات بين على وحرب على الزعامة .

ولكن عليا كان أقوى جانبا وأشد بأسا مما كان له أثره فى تحقيق النصر على أخيه حرب والاعتراف له بزعامة القبيلة وأيضا أداء الجزية لبضع سنوات .

وأثناء الصراع الدائر بين على وحرب أنبهر العربان بانتصارات على ، فذاعت شهرته بينهم ، وانضم إليه الكثيرون منهم ووضعوا أنفسهم تحت لوائه فازداد قوة على قوته ، وقـــد عرفت هذه القبائل بعد بالصدقان أو الأصدقاء .

تزوج على بزوجتين أحداهما تدعى : سعدى الحمراء .

والأخرى : عائشة البيضاء .

وأنجب ثلاثة أولاداً أكبرهم: أبو ستيته «زعيم قبائل الستتية» ، ولما توفى على كان عمر أبو ستية عشر سنوات ، أما ولداه الآخران فقد ولداً بعد وفاة والدهم ، ولما كان كل واحد منهم من زوجة ، فقد حرصت كل من الزوجتين على أن تسمى ولدها باسم «عـــلى» .. .. وقد سمى العرب ابن سعدى الحمراء عليا الأحمر وابن عائشة البيضاء « عليا الأبيض» ..... لعدم الخلط بينهما .

وكانت ذرية أولاد « على» هى :

١ — أبو ستيتة ومن ذريته قبـــائل : العرارة والقطيفة والمحافيظ والعجنة .

٢ — على الأحمر ومن ذريتـه قبـائل : القتيشـات والعشـبيات والـكميلات .

٣ — على الأبيض : ومن ذريتـه قبائل : أولاد خروف والعزايم والصنافرة والأفراد .

الصراع بين ذرية على وذرية أخيه حرب :

مضت حوالى أربعة قرون بعد موت على ولكن الخصومة التى كانت بينه وبين أخيه حرب كانت لا تزال قائمة بين الأحفاد، وكان العنصر لايزال قائماً فى جانب أولاد عـــلى ، واستمر الحال كذلك إلى أن ظهر فى قبيلة «الحرانى» نسبة إلى (حرب) رجل من الأذكياء يدعى: حبيب بن عبدالمولى، وقد قتل والده عبد المولى الحرباوى فى أحدى المعارك بينه وبين أولادعلى، فرأى حبيب أن ينتقم لوالده ، فسافر إلى طرابلس للغرب والتمس المساعدة من الحاكم وبدعى محمود — وكان واليا عليها فى هذا الوقت — وقدم إليه هدية ثمينة عبارة عن جلد رقبه نعامة مملوءاً بالذهب .

أغرت هذه الهدية الحاكم التركى فسأل حبيباً عن حجم المساعدة التى يطلبها فذكرها له ، فرضى بها ، ثم سـأله عن عدد الرجال الذين يطلبهم لمساعدته على قهر أولاد على فأجاب حبيب.

« أنه سيضع كتلة خشبية من شجر الزيتون على أحد أبواب سراى الحاكم ، تمر عليها الجنود ويدوسونها بأقدامهم حتى تنكسر وعندها يكتفى بالعدد الذى مر عليها . . . . . فرافق على ذلك وأمر جنوده بالمرور على الكتلة فمر عليهاستة آلاف جندى حتى إنكسرت وكان من العدد ٩٠٠ جندى من الخيالة .

وبهذه القوة العظيمة فاجا حبيب أولاد على بهجوم عنيف فى الجبل الأخضر وأنتصر عليهم وطاردهم فاتجهت فلولهم شرقا واستمرت المطاردة حوالى السبعة الأيام أعقبها صلح بينهما ، اتفقا فيه على :

أن يكون الحد الغربى جبل أبوحجاح (السلوم) هو الفاصل بين أملاك القبيلتين ، وقيل فى رواية أخرى : أنه عند رأس الملح .

وبذلك خرج أولاد على من إقليم برقـــة واستوطنو الصحـراء الغربية .

أولا على والجميات :

عند نزول أولاد على بالصحراء الغربية وجدوا أن وطنهم الجديد هذا مأهول بعربان قبيلة الجميات (وهم ذرية خديجة أخت على وبنت عقار) وتربطهم بهم صلة القرابة فعاشت القبيلتان معاً على وئام تام .

وفى هذا الوقت كانت تسكن أقليم «البحيرة» قبيلة الهنادى وهى إحدى القبائل القوية، وكانت قبيلة الجميات ضعيفة بالنسبة لها وهى مجاورة لها من جهة الغرب ، فكانت تحت حماية الهنادى، ويعاملونها بالظلم والقسوة ، فلما استوطن أولاد على الصحراء الغربية وأختلطوا بالجميات — وكانت تربطهم صلة الرحم — رأت الجميـات الفرصة مواتية للإنضمام إلى أولاد على والتخلص من سيطرة الهنادى عليهم ، فأوفدوا زعيمهم المدعى « قوش » للإتفاق مع أولاد على على مقاتلة الهنادى بمساعدتهم للتخلص من سلطتهم وأغرى أولاد على الإستيلاء على أراضى البحيرة الخصبة التى يملكها الهنادى، ولما كانت الجميات على عـــلم تام بتحركات هذه القبائل وبأسرار قوتها ومحلات تجمعها بحكم نزولها على حدودها ، فقد كانت خير معين لإرشاد أولاد على على هذه المحلات، وعلى هذا تم الإتفاق سراً بين القبيلتين على أن يقوما بالغزو والقتال فى السنة التالية ليتمكن أولاد على من جمع جموعهم وأسلحتهم وخيولهم استعداداً لهذا الإلتحام .

ويبدو أن الأخبار تطايرت إلى قبيلة الهنادى فحصل لها ريبة وسوء ظن من جهة الجميات فطالبتها بالحلف توكيداً لإخلاصها فحلف الجميات غشا وزورا ، مؤكدين ولاءهم للهنادى ، ولكن الهنادى لم يأمنوا ورأوا زيادة فى الحرص : أن يقيموا حدوداً معلومة بينهم وبين الجميات وأولاد على

(هذه الحدود هى مكان ترعة النوبارية الحالى)(١) ، وأنذروا هؤلاء : أن أى شخص أو حيوان منهما سيجتاز هذه الحدود سيكون جزاءه القتل فورا بلا انذار .

ولما مضى العام ، وحل موعد الإتفاق السرى المعقود بين الجمعيات وأولاد على كان هؤلاء الأخيران قد اتفقوا نصف ثروتهم فى الإستعداد لهذا القتال وتجهيز أنفسهم بالخيـــل والسلاح والذخيرة ، أصبحوا على استعداد تام لمقابلة الهنادى وشجع أولاد على على محاربة الهنادى أن الأخيرين لم يؤدوا الجزية للوالى محمد على (باشا) الذى ساعدهم على قهر الهنادى .

القتال ضد الهنادى :

لأجل أن تخلق أولاد على وحلفاؤهم الجمعيات سبباً للخصومة بينهم وبين الهنادى ، أطلقوا جملا وجعلوه يجتاز الحدود التى سبق أن حددتها الهنادى بينهما وأنذرت من يحاول أجتيازها بالقتل الفورى ، أرسلوا وراءه بعضاً من رجالهم بحجة البحث عنه، فما كان من الهنادى إلا أن قتلوا الجمل والذين أتبعوه، وعلى ذلك قام أولاد على يناصرهم الجمعيات ضد الهنادى وقاتلوهم قتالا شديداً حتى قيل أن الموقعة الأولى بين الفريقين استمرت ثلاثة أيام وثلاث ليالى ، وكثر عدد القتلى من الفريقين حتى طلبا الهدنة لدفن موتاهم، وقد اتفقا بعد ذلك عـــلى أن يعقب كل يوم قتال يوم هدنة لدفن القتلى واستمرت الحال هكذا حتى نهاية الحرب .

كان يتولى قيادة أولاد على — فى هذا الوقت — « حسين أبو داغمة ،

(١) رفعت الجوهرى : أسرار من الصحراء الغربية ص ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢٠٣

من قبيلة أولاد خروف « من أولاد على الأبيض » ، ثم تولى القيادة بعده مطرود المطراحى ، من أولاد خروف أيضاً ، ثم أخيراً عبد الرحمن أبو علوة » .

وقد استمرت الحرب ثلاثة أشهر أنتهت بهزيمة الهنادى وانسحابهم إلى وادى النيجر شرقا ، حيث أقاموا فى محافظة الشرقية ، وقد منح محمد على (باشا) أولاد على « فرمانا » بمعافاتها من الخدمة العسكرية مكافأة لهم !!

على أن المناوشات بينهما لم تنتـــه ، بل أن الهنادى كانوا ينتهزون فرصة مرور أولاد على فى موسم الحج ليقاتلوا قوافلهم الذاهبـة إلى الحجاز .

ولما تم لأولاد على تطهير الصحراء الغربية من الهنادى استولوا على أراضيهم فى البحيرة وقسموها ، فخصهم الثلثين وخص الجمعيات الثلث الباقى ومنح أولاد على الجمعيات حقوق المحاربين « كالسعادى » تماماً بعدما كانوا معتبرين من قبائل المرابطين وعاشوا فى وئام حوالى مائة عام أخرى .

وبعد هذا التاريخ وفدت بعض القبائل من الغرب من ذرية جبريل وبرغوت أخوة عقار جد أولاد على،وهاجموا أولاد على من ناحية سيوة ومن الوجه القبلى أيضاً ولكن هذا الهجوم فشل ، فقد تغلب أولاد على على هذه القبائل واضطروهم للانسحاب نهائياً إلى المغرب بعد قتال غير منتظم بينهما .

واتفق أولاد على فيما بينهم على توزيع قبائل المرابطين الذين ساعدوهم فى القتال فظلوا تحت حمايتهم والذين أنضموا تحت لوائهم فى الجبل الأخضر، فعقدوا أجتماعاً كبيراً فى مكان يقال له الحجفة قريب من طبرق وحضرت

بعض العائلات ذات الأهمية من المرابطين هذا الإجتماع، وقد منحهم أولاد على الإمتيازات الآتية :

١ — حق النزالة (حماية القبائل)

٢ — حق الفصالة (حق المضيف)

٣ — حق الدم بالدم .

(أن يكون الدفع فى الدية المثل بالمثل ، أى أنهم(١) مماثلين للسعادى فى الدفع .

أهم قبائل المرابطين :

الحوابيص :

قبيلة يقيم أغلبها بوادى النطرون ويشتغلون بنقل النطرون وسمار الحصير من البحيرات القريبة مثل: المغزة وغيرها، وكذلك يعملون فى نقل البلح من واحة سيوة إلى وادى النيل بطريق درب الحصحص وكرداسة (لمسافة ١٣ يوماً) .

وهم مشهورون بدماثة الخلق وطيب النفس وبعدهم عن الخصام ... ولا يحملون السلاح إلا للدفاع الشخصى وحماية حيواناتهم فى المرعى، ومع أنهم معتبرون من المرابطين إلا أنهم مثل قبيلة الجميات لا يؤدون أى ضريبة للسعادى ويشاركون أولاد على فى نقل محصول البلح من الواحات البحرية فينزلون هناك بمنديشا وينزل أولاد على بالبلويطى .

---

(١) رفعت الجوهرى : مرجع سبق : ص ١٣٣

وهم سالة القدادقة :

أحدى قبائل المغرب ويروون أن نسبهم ينحدر إلى الشيخ عبد الجواد الكسار ، وأنهم نزحوا إلى مصر قادمين من جهة الساقية الحمراء بمراكش من حوالى خمسمائة سنة ، وقد قاموا بعدة خدمات جليلة لوالى مصر : محمد على « باشا » بوادى النطرون وكافأهم عليها بامتيازات عديده منحهم اياها.

ويقيم بعضهم مع أولاد على بالصحراء الغربية والبعض الآخر يفلح الأرض بمحافظات البحيرة والغربية والمنوفية والجيزة .

الجمعيات :

قد تكون هذه القبيلة من سلالة بدو مربوط ، وأن كان ابن خلدون ذكر أنها من سلالة السعادى، وأنهم من ذرية خديجة أخت على وأبنة عقار .. والجمعيات أنفسهم يقولون أنهم من سلالة أولاد سليمان والقطعان ومن سلالة كعب .

فإذا صح ذلك ، فإن الجمعيات يكن أقدم عهد من السعادى الذين منهم أولاد على ، ولكن أولاد على لا يقرون هذا ، يعتبرون الجمعيات من المرابطين ، وأن كانوا لا يؤدون أى ضريبة للسعادى .

يتضح من هذا العرض أن الجمعيات من أقدم القبائل التى سكنت هذه المناطق ويقرر شيخهم سعد « بك » المصرى : أنهم يسكنون مصر من سبعمائة سنة — لكن الشيخ علوانى سليمان — وهو من شيوخهم أيضاً — يقول : أن نسبهم — أى الجمعيات — كالاتى :

كعب بن على (من الصحابة)

نوح	شهيب	قاسم	شتور	موسى	عيسى
النواحة	الشهابيين	القواسم	الشتوريين	أولاد موسى	أولاد عيسى

والجمعيات ، النازلون بمربوط من الشتور ، أما الفروع الأخرى(١) ، فعظمهم يقيم فى محافظات البحيرة والغربية وأيضاً برمل الإسكندرية .

السمالوس :

وهم منتشرون بكثرة مع أولاد على وعلى حدود الصحراء الغربية وفى كثير من محافظات الفيوم والبحيرة والمنوفيـــة والغربية والشرقية ، أما شيخهم أبو صالح . فكان يقيم بالمنيا .. ويقرون أنهم وفدوا على مصر من نحو ٢٠٠ سنة ، كان عددهم نحواً من ٤٠ فارساً قادمين من وادى سمالوس بالجبل الأخضر ، وأن جدهم الأكبر أحمد نصر الحسانى من قبيلة بنى سليم المشهورة .

الشهيبات :

هم مجموعة من البدو ويعملون رعاة من المربطين بوادى النطرون ومنتشرون بين عائلات السعادى ، ويلاحظ عدم الخلط بينهم وبين الشهيبات من أولاد على .

---

(١) رفعت الجوهرى : أسرار من الصحراء الغربية ص ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢٠٣

أهم الاثار فى الواحات :

مقابر البجوات :

هى المدافن الأساسية فى الواحة الخارجة، وقد ظلت كذلك زمنا طويلا يمتد إلى القرن الثانى الميلادى على أقل تقدير ، يدلنا على ذلك العديد من الكنائس والأديرة التى ما تزال باقية إلى يومنا هذا .

وتعتبر هذه الأديرة سجلا غنيا لدراسة العمارة الدينية القبطية نقشت عليها أقدم رسوم الفرسكو فى مصر .

وقد استمرت البجوات حتى الفتح الإسلامى (القرن السابع الميلادى) ثم هجرت المدافن.

وفى العصور الوسطى كانت المنطقة ممرا للكثيرين من الرحالة المسلمين، وكذا الذاهبين إلى الحج من شمال افريقيا عن طريق عيذاب .. ولذا رأينا الكثير من عبارات التقدير والاعجاب التى سجلها هؤلاء وأولئك على جدران الكنائس والأديرة .... خاصة تلك التى تحتوى على رسوم بالفرسكو ، فهناك أكثر من ثمانين ديرا وكنيسة تحتوى على كتابات عربية يرجع أقدمها إلى القرن التاسع(١) . وقد شملت هذه الكتابات أشعارا عن الحب والغرام، وكذا العديد من التوقيعات .

وفى القرن الخامس عشر الميلادى بنيت قرية صغيرة على بعد خمسة كيلو مترات ، من المدينة القديمة، وقد شملت هذه القرية كثيرا من المساجد التى يرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر الميلادى أيضا .

---

(١) د . سعاد ماهر : محافظات الجمهورية : ص ٢٠٧

وقد تكون كنيسة سفر الخروج أقدم ما عثر عليه حتى الان فى العالم المسيحى كله، اذ أنها ترجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى، ويتمثل فيها أقدم رسوم للفرسكو الموجودة بمصر، تلك الرسوم التى غطت معظم الحوائط الداخلية للكنيسة وتقول الدكتورة / سعاد ماهر : « أنه اعتمادا على هذه الرسوم استطعنا أن نرجع هذه الكنيسة إلى أوائل القرن الرابع أى قبل أن يعترف الامبراطور ثيوديس سنة ٣٩٢م بالدين المسيحى، أما الأسلوب الذى رسمت به الموضوعات التصويرية، فهو على جانب عظيم من الأهمية، إذ أننا نجد أسلوبا مخالفا تمام المخالفة للأسلوب الفنى السكندرى الذى كان سائدا فى ذلك الوقت، أى فى القرن الرابع، فنلاحظ أن الرسوم الأدمية والحيوانية بعدت عن الطبيعة وأصبحت ومزية تعبيرية إلى أقصى حد مما لم يسبق له مثيل من قبل، فكثرت الزخارف الهندسية التجريدية وملأت مساحات كبيرة، ومثل هذا الأسلوب لم يكن متبعا كذلك، فإن الزخارف الهندسية كانت دائما عنصرا مساعدا للرسوم النباتية أو الحيوانية أما أن تملأ مساحات كبيرة بخطوط هندسية مجردة، فهو أسلوب جديد.

وتتابع الدكتورة : سعاد : « وهكذا نستطيع أن نقول أن طرازا فنيا جديدا ظهر فى المقابر والكنائس المسيحية الموجودة فى الصحراء الغربية بعيدا عن الحكام والرهبان، ولما كان هذا الطراز الفنى خاص بمسيحى مصر وهم الذين عرفوا بالأقباط منذ سنة ٢٨٤م — وهى سنة الشهداء — فاننا نستطيع أن نقول أن الفن القبطى نشأ فى القرن الرابع الميلادى على أقل تقدير ويمتاز هذا الأسلوب الجديد بأنه أسلوب بعدت عناصره عن محاكاة الطبيعة، اذ أنه يعد بالمادة واكتفى بالرمز اليها أو التعبير عنها بأبسط الوسائل وأقلها، بل أنه ذهب إلى أكثر من ذلك، فقد لجأ إلى تجريد المادة ورمز إليها بمجرد خطوط هندسية ملأ بها فراغات كبيرة وكان هذا الأسلوب بطبيعة الحال يلائم حالة الزهد والتقشف التى وصل اليها المسيحى بعد ما لاقى من الاضطهاد والتعذيب فى سبيل الاحتفاظ بعقيدته الجديدة.

ومن أهم الرسوم والزخارف الموجودة بكنيسة سفر الخروج التى ظهرت فيها مميزات الفن القبطى واضحا الموضوعات التصويرية التى تمثل قصص الأنبياء والقديسين الواردة فى كتاب العهد القديم وهى :

١ — قصة الخروج .

٢ — سفينة نوح .

٣ — آدم وحواء .

٤ — دنيال فى الجب مع الأسود .

٥ — الاسرائيليون الثلاثة فى النار .

٦ — عذاب بنى اسرائيل .

٧ — قصة يونس والحوت .

٨ — ربيكا وعبدها إبراهيم .

٩ — إبراهيم واسحق .

١٠ — الـــراعى .

١١ — العـذارى السبع وغـــيرها من القصص والموضوعات الاخرى(١) .

ويبدو ضروريا فى نهاية هذا البحث أن نعرض لما جاء فى بعض المصادر العربية عن الواحات التى هى موضوع هذا البحث ...

---

(١) د . سعاد ماهر : مرجع سبق : ص ٢٠٨

١ — يقول الاصطخرى :

« أما الواحات فإنها كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والناس ، وبها إلى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم ، وقد توحشت فهى تتوالد والمسافة بين الواحات وبين صعيد مصر من جهة الجنوب نحو ثلاثة أيام يقطعها المسافر وتتصل الواحات بالنوبة ببرية ، فتنتهى إلى أرض السودان .

« وبلد الواحات ناحيتين ويقال لهما بالداخلة والخارجة وبين الداخلة والخارجة ثلاث مراحل وأجلها الناحية الداخلية ، وهى واسطة البلد وقرار آل عبدون ملوكها وأصحابها وفيها مساكنهم وأموالهم وعدتهم وذخائرهم وهما حارتان بينهما نصف بريد وبكل حارة منهما قصر إلى جانبه الساكن لحاشية من منزلته وخاصته وأصحابه وأضيافه وفيهما حرمهم وتعرف أحدى الحارتين بالقلمون والأخرى بالقطر والناحية الخارجية تعرف بيبرس(١) ، بيخيط وهما خمسة أضعاف ويشتمل كل صقع على مقابر متقارب فى المنزلة والحال(٢) .

ابن دقاق :

ذكر ابن دقاق أربعة وعشرين بلداً فى مملكة الواحات . . . يقول : « واحات جميعها وهى الخاص والداخلة والخارجة أقربهم إلى الأعمال البهنسائية وميرتهم أربعة وخمسون ألف دينار :

واح الخاص (ثلاثة عشر ألف دينار) ١٣٫٠٠٠ دينار

---

(١) تعرف اليوم باسم باريس

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك : ص : ١٣٠

والخارجة (أثنى عشر ألف دينار) ١٢ر٠٠٠ دينار

الداخلة (تسعة وعشرون ألف دينار) ٢٩ر٠٠٠ دينار

وهى بلاد كثيرة وبها قلعة، وبهذه البلاد من الفواكه والثمار شيء كثير وكانت في القديم مملكة قائمة بنفسها وكان لصاحب قصر على صاحبها قطيعة، ثم صارت مضافة إلى مصر .

وهو أقليم غير متصل بغيره تحيط به المقـــاوز وحيزه بين مصر والإسكندرية والمغرب والصعيد والنوبة والحبشة ومسافاته من كل ناحية مقاربة للأخرى ، وقيل هى ثلاث واحات :

الأولى : تسمى الخارجة وقصبتها تسمى المدينة .

الثانية : وهى الحطى وفيها مدينتان أحداهما وهى الكبرى وتسمى القصر والأخرى تسمى هندا وهما مستورتان .

الثالثة : وتسمى الداخلة وفيها مدينتان أحداهما وهى الكبرى تسمى أرى والثانية ميمون ، وبها عيون حامضة وأهلها يشربون منها ويسقون أراضيهم ومتى شربوا من غيرها استوبأوا .....

ويقال أن عدة بلاد الوحات أربعة وعشرون بلداً منها:

* القصر — وبها عيون حارة مثل الحمام .
* وأفطيمة — وفيها أعناب كثيرة وأتيان .
* وشكول — وفيها أرز وعنب .

* وحافاته — وفيها أرز وكروم .

* وعين جديد القبلية — وبها كروم كثيرة ويزرع بها الأرز .

* وبرقس — وبها كروم كثيرة ويزرع بها الأرز أيضاً .

* والقلون — وهى بلد كبير كله كروم وبها كنيسة النصارى .

* والقلول — وبها كروم وتزرع الأرز .

* وعنفيش — وبها نخيل وموز كثير وكروم كثيرة ويزرع بها الأرز والجبن الذى يعمل من لبن بقرها .

* ربوط — وبها كروم ويزرع بها الأرز الهندا وينزل بها المتولى على القوم .

* وينسطر — ويزرع بها الأرز .

* وبنى يزيد — ويزرع بها الأرز أيضاً .

* وسمنت القديمة — ويزرع بها الأرز .

* وسمنت الخطا — ويزرع بها الأرز .

* والمعيصرة القريبة — ويزرع بها الأرز أيضاً .

* والقصبة — وهى بلد كبير وبه كروم ويزرع بها الأرز.

* وبلاط — ويزرع بها الأرز أيضاً .

* وبنى يزيد الشرقية — كفر صغير ويزرع بها الأرز .

* وتليدة — بلد كبير يزرع به الأرز .

* وحاجز القصر — بها كروم ويزرع بها الأرز .

* وأفطيسة — وبها كروم ويزرع بها الأرز .

وهذه البلاد تسمى ألواح القبلية ، ويسافر إليها مزير أسيوط مسيرة ستة أيام ثم يأت المسافرون بعد ذلك إلى عين مور تحت جبل يحملون فيها الماء إلى الواح .

وفى المنتية معدن الشب الأصفر والأبيض مباع ، وبأرض الواح يزرع القطن وهى كسوة أهلها ولم يخرج منها،وفى البلد تسمى موط معدن الحوت وهى الزاج ويسمى أيضاً القلقند .

و يقال أن ببيلاد الواحات عيونا حامضة تستعمل مياهها كاستعمال الخل ومنها عيون مرة،ومن قوة مائها لا يخالط شيئاً إلا مرره ، وأن العلة فى اختلاف هذه الطعوم فى المياه أن بها مواد مختلفة مثل مواضع الشب والزاج والمواضع النارية والرمادية .

وذكر الأطباء أن أعداد الطعوم ثمانية : أولها العذب والدسم والحلو والمالح والحامض والمر والقابض والحريف،والعذب نوعان بارد وساخن، أن استعمل من خارج وداخل مفيد الحاجد،فإنه ينقى الجسد وأن استعمل أكثر فإنه يرخى الأعضاء ويضعفها وأن البارود يشد الأعضاء ويدفع العطش ، وأن الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وأن الماء الأجاج ينفع من أوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الإسترخاء وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنتين فى الجسد والرأس ، وماء الحسبا يشنج المعدة ويبضها ويكرشها وماء الزاج يحسن الدم وماء البحر نافع من البرص .

وقد ذكر أنه من الأخلاط الفاسدة ، إذا شرب اليسير منه مع دهن اللوز ، وله فى البصر أتعاب فظيع وأن أصح المياه للأجساد الماء الأبيض الصافى البراق الذى يخرج من جبال الطين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل بسرعة مايرد إليه من الحر والبرد(١) .

---

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص : ٣٧

ابن حوقل :

الواحات كالناحية المعتزلة فى مركزها دائرة من النيل ، تبعد غربا من مدينة الأقصر فى صعيد مصر بحوالى الثلاثين والمائة من الأميال . ومن أى نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول إليها من ثلاث إلى أربع مراحل والناحية الخارجة منها المعروفة ببخبط وبيبيرس أقرب إلى أقرب إلى النيل من قصدها من ناحية النوبة ومن اجتاز بها من أرض مصر وقصدها من اسنى (اسنا) وأرمنت تزود بماء النيل إلى بيبرس ومن قصدها من البلينا واخميم وأسيوط والأشمون من أسافل الصعيد كان وصوله إلى بيخبط وتزود بماء النيل ومن قصدها من أسوان وأعلى الصعيد اجتاز يد نقل بماء عد فى أحساء تحفر باليد وتزود بالماء إلى بيبرس ومسيرة كل طريق مما ذكرته ثلاث مراحل وأكثر هذه الطرق فى عقاب وأودية وجميع من قصدها من الأربع نواح يقطع الوادى المعروف بدواى واحساء بنى قصالة .

« ومن قصد الواحة الداخلة وهى دار مملكة آل عبدون وبينها وبين الفرفرون (الفرافره) مرحلة ... »

« وقد يقصد الواحات من ناحيه المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكان من البربر تعرف بسنتريه (ترجع فى أصلها إلى سنتريس وهى فى المنوفيه ، أنظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية : القسم الثانى الجزء الثانى : ص ١٦٢) فيكون أول وصولهم منها إلى ناحية البهنسا » .

« والفرفرون قرية ذات قصور وبين بهنسة مصر وبهنسة الواح أربع مراحل وهى فى جملة الواح الداخلة وتصب الماء فى هذا الطريق بموضع يعرف بماء النخلة » .

ويتابع ابن حوقل : « أن بالواحات عجائب شتى منها ما هو ملفوف وقائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب ، ويقال : أنه فى بعض المدائن الداخلة مرآة يرى فيها جميع ما يسأل الإنسان عنه ، ويقال أنه صنع منها واحات دخلة وواحات باطنة يظهر فى بعض الأحيان لمن شاء له الله تموينها وأن بعض الرجال من أهل صعيد مصر أتاه رجل وأعلمه بأنه يعرف مدينة بأرض الواحات بها كنوز عظيمة وبها أنهار وأشجار وثمار وأطيار فتزود وخرج مسافرا إليها معه فسار فى الرمل ثلاثة أيام حتى أشرفا على مدينة عظيمة وبظاهرها نهر عظيم وإلى جانبه شجرة عظيمة فأخذ الرجل من ورق تلك الشجره فدقه ولطخ بمائه ساقيها وخاص نطاق النهر فلم يتعد الماء حد ماء الورق فصعدا إلى المدينة وأخذا من الذهب الذى بها ما أرادا وأطلقا حمله وتفرقا فدخل ذلك الرجل الصعيدى لبعض ولاة الصعيد وعرفه القصة وأراه عين الذهب فأخذ منه الذهب ووجه معه جماعـــة وزودهم بزاد وجعلوا يطوفون بتلك الصحارى مدة فلم يقفوا لتلك المدينة على أثر .

وقيل : أن الواحات كانت أعمر المدن إلا أن أهلها تحاسدوا وفشت بينهم حروب كثيرة وأخربت بلادهم فسميت بالواحات .

وتنتج هذه البلاد : التمر والزبيب والمشمش والعناب والعرقسوس والأرز وبها الموز والرمان والبرقوق والسفرجل كثيرا وبها النارنج .

وببلاد الواحات مياه مختلفة أبيض وأصفر وأخضر وغير ذلك . . وبمغارات الواحات عرب سليم يقطعون بها الطريق على من أرادها أو من خرج منها .

وكذلك العكارمة يغزونها ، وهذه البلاد لم يزل أهلها محترزون محتفظون منهم . وبلاد الواحات الآن بيد امير بن طلباخانات : أحدهم الجناب الملائى ابن الطبلاوى والآخر أمير فرج نائب الوجة البحرى وبها جامع أمر بعمارته الوزير المأمون بن الطانجى .

« ومدينة سنتريه » فى صحراء الواحات بنيت فى زمن منفادس من أشموم وهو العاشر من ملوك مصر بعد الطـــواف عمرها من حجر أبيض وجعلها مربعة على تقدير واحد وجعل فى كل حائط من حيطانها الأربعة بابا فى وسط ينتهى الحائط المحاذى له من الجهة الأخرى، وجعل فى كل شارع يمنه ويسرة أبوابها وتنتهى طرقاتها إلى داخل المدينة وجعل فى وسط هذه المدينة ملعبا يدور به من كل ناحية وعمل عليه قبه من خشب مربعة مدهونه على عمد عظيمة من رخام وفى وسطه منار من رخام عليه صنم من حيوان أسد يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحى القبه صورة معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة ، كان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وقراباته وأبناء الملوك .

وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة أرباب العمارات وعلى الخامسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة ويقال لكل صنف منهم تأديبا لهم : أنظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم ، ثم أن المدينة تعاقب عليها السنون وخربت ، ثم عمل مكانها حصن وزرعوا هناك نخيلا كثير يحملون منه التمر والعجوة إلى بلاد مصر والاسكندرية والصعيد والمغرب وتمرها وعجوتها من ألذ الثمار وأحلاها ويسمى البيد ورويؤكل بالسمسم فتكون له لذة عظيمة(١) .

ياقـــوت :

جاء فى معجم البلدان : أن الواحات ثلاث كور غربى مصر ، ثم غربى الصعيد : ألواح الأول أوله مقابل الفيوم ممتد إلى أسوان وهى كورة عامرة ذات نخيل وضياع حسنه ، وبها تمر جيد أخر تمور مصر ، وهى أكبر الواحات ووراءها كورة أخرى يقال لها رواح الثانى ، وهى دون تلك

---

(١) ابن حوقل : ص ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٤

فى العمارة وكورة أخرى يقال : واح الثالثة : وهى دون الأولين فى العمارة ومدينة الواح الثالثة يقال لها : سنتريه(١) .

السعودى :

جاء فى مروج الذهب : « أن باللواحات شجرة نارنج يقطف منها فى سنة واحدة أربعة عشر ألف حبه نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر(٢) . !!

المقريزى :

جاء فى الخطط : أن الواحات منطقة وراء الوجه القبلى فى مغاربة ولاتعد فى الولايات ولافى الأعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان ، وإنما يحكم من قبل هقطعها وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة بعضها داخل ببعض ، وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر إلى سواه(٣) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٨ ص ٢٧١

(٢) المسعودى : مروج الذهب : نفس الجزء والصفحة

(٣) المقريزى الخطط : ج ١ ص ٣٣٧